

تأثير الثقافة الرقمية في فكر المتعلم الجزائري بين السلب والإيجاب

د/ غنية دومان

جامعة الحاج لخضر باتنة 1.

مقدمة:

إن ثقافة الأطفال والشباب جزء من الثقافة الكلية للمجتمع، بل إن الباحث هادي نعمان الهيتي يذهب إلى أنه: "تظهر في ثقافة الأطفال الملامح الكبيرة لثقافة لمجمع في العادة، فالمجتمع الذي يولي أهمية كبيرة لقيمة معينة تظهر في العادة في ثقافة الأطفال. ومن ناحية أخرى فإن الأسرة تؤدي دورا مهما في تكوين ثقافة الأطفال والشباب، كما أن الأب والأم أو الأخوة الكبار من ذوي التعليم والثقافة العالية، ساعد ذلك الأطفال على أن ينشؤوا في بيئة ثقافية صحية. ولما أصبح مجتمعنا يظهر اهتماما بمسألة الأنترنت والأجهزة الرقمية ذات التكنولوجيا العالية، ويشجع على استخدامها في جميع مجالات الحياة، فقد كان من الطبيعي أن تظهر الثقافة الرقمية، ومن ثمة فإن ثقافة هذا الجيل من الأطفال والشباب تختلف كل الاختلاف عن ثقافة الأجيال السابقة. فثقافة هذا الجيل تتشكل من خلال استخدام اللوح الإلكتروني (الأيباد) أو الهاتف الرقمي الذكي لكي تكون متوائمة مع روح العصر، ومع تطلعات المستقبل، ومن هنا تتحقق مقولة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الصالحة لكل زمان ومكان: "لا تعلموا أولادكم عاداتكم، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم".

ويشهد العالم مؤخرا تحولات رقمية هائلة بشكل عام في جميع مناحي الحياة، غير الكثير من المشاهد الاجتماعية والثقافية والاقتصادية وحتى التعليمية الحديثة والمعاصرة، خاصة بعد ظهور فيروس كورونا وظاهرة الحجر الصحي لتؤسس للرقمنة والواقع الافتراضي نصيبا كبيرا في الحياة. لذلك كانت الثقافة الرقمية محورا هاما وأولوية كبيرة توليها المؤسسات باختلافاتها وتنوعها، من أجل نشر الوعي التقني والاستخدام الأمثل لتلك التقنية في تيسير المهام والعمليات وتقديم الخدمات للمستخدمين بكل جودة وإتقان.

1. مفهوم الثقافة الرقمية:

هي مصطلح يوضح آليات عمل تكنولوجيا المعلومات والأنترنت في تشكيل الطريقة التي يتفاعل بها البشر مع هذه التكنولوجيا واستخدامها في حياتهم العملية والشخصية، إذ تشمل الثقافة الطرق والتقنيات

والوسائط الجديدة التي يمكن استخدامها لأداء المهام المطلوبة⁽¹⁾ في إيصال المادة العلمية للمتعلّم من جهة، وتزويده بالطرق ومنهجيات البحث العلمي من جهة أخرى.

الثقافة الرقمية، هي الثقافة الوافدة علينا من خلال ما يعرف بعصر الموجة الثالثة⁽²⁾ الذي يعيشه الإنسان حالياً، وهو العصر المعلوماتي الذي رافقته ثورتان تكنولوجيتان هما: ثورة الاتصالات، وثورة في تقنية المعلومات⁽³⁾ من خلال الأجهزة الرقمية الإلكترونية المختلفة، سواء كانت هذه الأجهزة حواسيب أو ألواح رقمية، أو هواتف ذكية، أو أجهزة إذاعية وتلفزيونية تستقبل الإرسال المحلي، أو تستقبل محطات الأقمار الصناعية.

والثقافة الرقمية هي أيضاً مصطلح يشير إلى التغيرات الثقافية التي ينتجها تطوير ونشر التكنولوجيا الرقمية وخاصة الأنترنت وشبكة الويب. ويرتكز مضمون ومفهوم الثقافة الرقمية على بناء منهجية للتفكير من خلال دمج عناصر من عدة حقول ثقافية منفصلة سابقاً، والعمل مع الآخر حتى ولو كان بعيداً⁽⁴⁾.

وقد انتشر هذا المصطلح "الثقافة الرقمية" من خلال الفترة الأخيرة، في إشارة إلى معطيات ثقافية جديدة من جراء استخدام التكنولوجيا الإلكترونية الجديدة، وما نتج عنها من هوة فاصلة بين الدول المتقدمة والدول الفقيرة التي تعرف بـ "الفجوة الثقافية".

تبنت أغلب شعوب العالم الثقافة الرقمية. وانغمست في محتوياتها وأصبحت بذلك لا تقتصر على السن أو الجنس أو العرق، فالكل مارسها وتقبلها وعمل بها، ولكن الإشكالية تكمن هنا. فهناك من تعامل معها بحذر وحيطة، وهناك من أخذ بها كلياً دون غرابة أو تمحيص، فما معنى الثقافة الرقمية؟ وكيف يتعامل مع معطياتها تلاميذنا في المدارس وطلابنا في الجامعات؟ وهل أخذوها بإيجابياتها وسلبياتها؟ أم أنهم قاموا بانقتاء ما يفيدهم فقط؟.

¹ - تأثير الثقافة الرقمية على الأطفال والتعليم، إسلام أون لاين، موقع: <https://islamonline.net>

² - مصطلح "الموجة الثالثة" استخدمه المفكر "ألن تولفر" في كتابه "الموجة الثالثة" وفيه قسم تاريخ الحضارة البشرية إلى ثلاث موجات رئيسية، الموجة الأولى بدأت عندما ارتبط الإنسان بالأرض، وأصبح يعتمد على الزراعة، واستغرقت هذه الموجة آلاف السنين، والموجة الثانية بدأت مع الثورة الصناعية عندما انتقل الإنسان إلى مرحلة التصنيع التي استمرت عدة مئات من السنين. أما الموجة الثالثة فهي التي يخوضها الإنسان حالياً وقد بدأت منذ عدة عقود وهي مرحلة ما بعد التصنيع، أو هي عصر المعلومات الذي نعيشه حالياً.

³ - أحمد فضل شبلول، تكنولوجيا أدب الأطفال، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر، 1999، ص 37-38.

⁴ - تأثير الثقافة الرقمية على الأطفال والتعليم، إسلام أون لاين، موقع: <https://islamonline.net>

ونحن في هذا البحث جهودنا منصبة على الثقافة الرقمية الوافدة من خلال الأجهزة الإلكترونية الرقمية بما فيها من شبكة الأنترنت التي توفر مقومات هذه الثقافة، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا الوضع، هو: هل إشاعة أدبيات الثقافة الإلكترونية بين أبنائنا، يؤدي إلى إشاعة نمط التفكير العلمي يهم؟ حيث الحكم على المسائل والظواهر والمشكلات العلمية بوعي شامل استنادا إلى ضوابط معينة كما يذهب إلى ذلك الهيئي، فيقول: "قما دمنا نريد لأطفالنا أن يحلوا المسائل المتعلقة بحياتهم والمشكلات التي يواجهونها، فإن هذا يعني أننا نريد لهم أن يفكروا بطريقة علمية"⁽¹⁾. فهل تعاملهم المستمر مع الأجهزة الرقمية التي هي مبنية في الأصل ومصممة، على خطوات علمية ومنطقية في غاية الدقة، سيؤدي إلى إشاعة هذا النمط من التفكير أو على الأقل يعلمهم كيف يفكرون، تفكيراً غير جزافي، قائماً على أسس مبنية ومتسلسلة منطقياً، وهكذا يكون تفكيرهم هادفاً مرناً، بعيداً عن الجمود والتعصب.

لذلك يعرفها الباحث فادي كلارجي أنها: "منهجية بحث على منصة مفتوحة لمشاركة المعلومات عبر مواقع متخصصة في البحث العلمي بالتعاون مع كامل مستعملي وسائل التكنولوجيا الحديثة عبر العالم ومن شتى الاختصاصات"⁽²⁾.

2. مكونات الثقافة الرقمية:

تتكون الثقافة الرقمية مثلها مثل الثقافات الأخرى من مجموعة من المقومات والأسس تبنى عليها أهمها:

- بناء منهجية تفكير خاصة ومختلفة ومتميزة من خلال دمج مجموعة من العناصر من عدة حقول ثقافية منفصلة ومتنوعة.
- التلاقح في الكتابة: أو ما يسمى بالكتابة المتعاونة التي لا تتحقق إلا بالتعاون مع الآخر حتى ولو كان بعيداً.
- نص شامل: "Texte global"، ويكون وفق نظريات وتجارب سابقة وضعتها فرضيات تحقق عادة مما يؤهل الباحث أو المتلقي من أخذ أهم عناصر التجربة والطرح وبكل ما يحمله من عناصر مكتملة.

¹ - الهادي نعمان الهيئي، ثقافة الأطفال، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1988، ص 94.

² - فادي كلارجي، منهجية البحث والثقافة الرقمية في العلوم الإنسانية والاجتماعية في إطار الـ Master class الجامعة اللبنانية على الموقع: <https://doctorant.hypthases.org>.

- الأرشيف المفتوح: وهو إطلاع المعلم على كل ما يحتاجه من معلومة والعمل على إشباع فضوله العلمي، بعد أن كان هذا الأرشيف حكرا على المكتبات الورقية، أصبح بفضل الثقافة الرقمية في متناول الجميع.

3. إيجابيات الثقافة الرقمية للمتعلم:

تنقسم إيجابيات الثقافة الرقمية إلى قسمين أساسيين هما:⁽¹⁾

أ. من ناحية المستخدمين:

- يمكن للمستخدم مهما كان سنه أو مستواه التعليمي التدخل ضمن المواقع الإلكترونية والتفاعل مع المحتوى أو تعديله خاصة في الأولى، حيث يستطيع المتعلم (القارئ) تعديل النص.
- القارئ ليس بعيدا عن النص/ متلقيا، بل يستطيع أن ينتجه من جديد.
- يمكن للمستخدم طرح الأسئلة أثناء عملية البحث ولتزويده بكافة المعلومات.
- التحام التلميذ والطالب بالثقافة الرقمية التحاما وثيقا، لأن هذه الثقافة في تطور سريع وتقدم يوميا مكتسبات جديدة.
- توسيع خبرات المتعلم وتذليل الطريق له لبناء المفاهيم، فيتجاوز بذلك الحدود الجغرافية والمكانية والزمانية.

ب. من ناحية الخدمة:

- تضمن مواقع الثقافة الرقمية البرمجة الحرة أي وضع النص بمتناول الجميع Logiciel libre.
- الحصول على المعلومات بشكل مفتوح وغير محدود.
- الثقافة الرقمية تحقق للمتعم الانفتاح على الآخر وعلى ثقافته.
- شبكة المعرفة أو ما يسميها الدكتور فادي كلارجي المعرفة المترابطة مما يساعد المتعلم على التحقق من المادة العلمية، والاطلاع على أي تغير طرأ على المضامين العلمية القديمة.
- الحفاظ على حقوق الكاتب والمؤلف.

¹ - المرجع السابق.

4. الثقافة الرقمية والمنظومة التعليمية:

عندما نتناول الثقافة الرقمية والتعليم، يجب علينا أن لا نهمل الأساس الأول الذي شكل ثقافة التلاميذ والطلاب النجباء في مجتمعنا عموماً قبل ظهور العالم الرقمي وظهور ثقافته، ونقصد بذلك الثقافة المكتوبة أو المطبوعة، فالكتاب بأنواعه المختلفة وب تخصصاته المتعددة قدم رقياً فكرياً وحضارياً.

لكن الملاحظ اليوم تراجع كبير في نسبة الثقافة الورقية أو المكتوبة قد تضاءلت بشكل لافت للانتباه فثقافة المطالعة كقيمة معرفية وإنسانية تشهد تراجعاً مؤلماً في نسبة القراءة بين الكبار والصغار بشكل خاص، كما تعاني المجتمعات عامة من قلة الوعي والتثقيف لأهمية القراءة والمطالعة، وقد أقر بها الباحثون والمختصون في كل أرجاء العالم، حيث أشار الكثير من الباحثين وعلماء اللغة وعلم الاجتماع إلى أن علاقة الطفل بالكتاب أصبحت علاقة مخيبة للآمال ومحبطة، بل تكاد تكون ثقافة معدومة. والسبب في ذلك دون شك هو سيطرة الثقافة الرقمية بكل ما تحتويه من إيجابيات وسلبيات على فكر وسلوك الأطفال والشباب، فأصبحت تشكل إدماناً رهيباً لم يعد بإمكان هذا المتلقي التخلص منه، "والمدمن عبر الأنترنت لن يستطيع التوقف عنه، وذلك لأنه علق في مصيدة الإدمان ... ورغم أن تأثير ذلك قد يكون فظيماً على حياة المدمن، فإنه لا يستطيع التوقف عن ممارسته الإدمانية"⁽¹⁾.

ولكن من جهة أخرى لوحظ أن نسبة المتعلمين الذين احتكوا بهذا العالم الافتراضي احتكاكاً إيجابياً، اتضح تنوع معارفهم، فهم غير مرتبطين بحقل معرفي واحد، وهذا التنوع سمح بخلق جو من الحيوية والنشاط في قاعة الدرس، بل لمسنا أنهم اكتسبوا فعلاً ثقة في النفس وأريحية كبيرة أثرت في بقية زملائهم، ولتفعيل هذا الجو لا بد أن توفر المدرسة والجامعة وداخل قاعات الدرس أجهزة الحاسوب مدعمة بالإنترنت، لينتفع بها المتعلمون وينوعوا مداركهم، وإذا تحقق ذلك فإننا نستطيع أن نتقدم خطوات للأمام ونحفز المتدربين على التعلم، ونضاعف قدراتهم التحصيلية ونيسر للمعلم العملية التعليمية.

ولا تقوم العملية التعليمية على المتعلم فقط، بل تتأسس مع المعلم أيضاً، الذي يعيش هو الآخر عصر العولمة، فإذا أسس معارفه الأولى من الثقافة المكتوبة، فعليه أن يطور معارفه هذه وينوعها من خلال تواصله مع جديد الثقافة الرقمية، ومثلما يتدرب المتعلم على هذه الثقافة، فعلى المعلم أيضاً أن

¹ - تأثير الثقافة الرقمية على الأطفال والتعليم، إسلام أون لاين، موقع: <https://islamonline.net>.

يتدرب عليها حتى يكون خبيراً في استخدام هذه الوسائط الحاسوبية فيحسن توصيلها للمتعلم، فيغدو الدرس مقروءاً مكتوباً ومسموعاً ومرئياً، وفي هذا استثارة لحواس المتعلم وطاقاته العقلية على حد سواء⁽¹⁾.

ونعني هنا الإلمام بالعمل الرقمي أو التعلم على أدوات العصر الحديث. فهناك فرق كبير وهو مرتبة عليا وبين العلم بالشيء وهو درجة معرفية وبين الثقافة وهو المصطلح الخاص بتأديب وتهذيب المفردات والطريق القويم لتوصيل العلم وتقديمه في شكل قالب يصلح للمجتمع خاصة وإن كان هذا المجتمع له خصوصياته وعاداته وتقاليده. ونحن هنا نتكلم على الثقافة العربية حتماً سيتجه فكرنا إلى الأدب العربي ... ودورنا الأدبي الذي يجب أن نحمله على عاتقنا لترسيخ الثقافة الرقمية العربية على أقل تقدير⁽²⁾.

خاتمة:

خلصت هذه الدراسة إلى مجموعة من نتائج أهمها:

- الإقبال المتواضع لطلابنا وتلاميذنا على المواقع المتخصصة بالثقافة الرقمية لأسباب مادية بالدرجة الأولى ثم لأسباب نفسية راجعة لحب الشباب الترفيه في مواقع الأنترنت بغية تمضية الوقت، مثل: التيك توك (Tik Tok)، الأنستغرام والفيسبوك ...
- الخجل من الممارسات العلمية خاصة الافتراضي المرئي منها.
- عدم التمكن من تقنيات وأدوات البرامج التكنولوجية المفتوحة.
- المنافسة ما بين المؤسسات التعليمية.
- حب تملك المعلومة وعدم مشاركتها مع الآخر خفية السرقات العلمية.

¹ - فتحة شغيري، تأثير الثقافة الرقمية في المنظومة التربوية، مقال رقمي: . <https://www.balagh.com>

² - حسن راشد، الثقافة الرقمية مفهوم وفهم، دنيا الوطن، مقال رقمي: <https://pulpit.alwatanvoice.com> 10 أوت 2008.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أحمد فضل شبلول: تكنولوجيا أدب الأطفال، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر، 1999.
2. تأثير الثقافة الرقمية على الأطفال والتعليم، إسلام أون لاين، موقع: <https://islamonline.net>
3. حسن راشد، الثقافة الرقمية مفهوم وفهم، دنيا الوطن، مقال رقمي: <https://pulpit.alwatanvoice.com> 10 أوت 2008.
4. فادي كلارجي، منهجية البحث والثقافة الرقمية في العلوم الإنسانية والاجتماعية في إطار الـ Master class الجامعة اللبنانية على الموقع: <https://doctorant.hyphases.org>
5. فتيحة شفيري، تأثير الثقافة الرقمية في المنظومة التربوية، مقال رقمي: <https://www.balagh.com>
6. الهادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1988.